الانثروبولوجيا الرقمية والتصور الافتراضي للإنسان

أ.م.د رؤى لؤي عبد الله

الجامعة المستنصرية/ كلية الآداب/ قسم الانثروبولوجيا والاجتماع

الملخص

يُعرّف "الرقمي" هنا بأنه تقنيات جديدة يُمكن اختزالها في نهاية المطاف إلى شيفرة ثنائية، وقد سهّلت هذه التقنيات إعادة إنتاج ومشاركة العديد من التحف الثقافية وسرعته، يُعنى القسم الأول من هذه المداخلة بالسكان والعوالم الناتجة بشكل كبير عن التقنيات الرقمية. أما القسم الثاني، فيتناول الاستخدام العام للتقنيات الرقمية وعواقبها على مختلف السكان حول العالم. وبدلًا من فصل تأثير التقنيات الرقمية، تُمثّل الإثنوغرافيا الشاملة إحدى أهم مساهمات الأنثروبولوجيا، مما يُثبت أنه لا يُمكننا فهم العوالم الرقمية الجديدة إلا في سياق العلاقات والممارسات الاجتماعية الأوسع. وبدلًا من محاولة الحكم على التقنيات الرقمية على أنها إيجابية أو سلبية، يُمكن للأنثروبولوجيا أيضًا التركيز على تناقضاتها المتأصلة. ويبحث القسم الثالث في كيفية تأثير التقنيات الرقمية على المنهجية الأنثروبولوجية. أما القسم الأخير، فينصبّ الاهتمام على التأثير المُحتمل للأنثروبولوجيا الرقمية على مفهومنا للأنثروبولوجيا نفسها وما يعنيه أن تكون إنسانًا.

الكلمات المفتاحية: الافتراضي، الانسان الرقمي، الثقافة المعاصرة

Digital anthropology and the virtual representation of humanity

Apstract

" Digital" is defined here as new technologies whose technology ultimately reduces it to binary code. These details have facilitated and accelerated the reproduction and sharing of many cultural artifacts. The first section of this paper deals largely with population and globalization. The second section examines the general use

of digital technologies and their consequences for different population groups around the world Rather than isolating the impact of digital technologies, comprehensive ethnography represents one of anthropology's most important contributions, demonstrating that we can only understand new digital worlds within the context of broader social relations and practices. Rather than attempting to judge digital technologies as positive or negative, anthropology can also focus on their inherent contradictions..

Keywords: virtual, digital human, contemporary culturel

مقدمة

هناك الكثير من المقالات الصحفية تُخبرنا بأننا فقدنا إنسانيتنا بسبب إدمان الهواتف الذكية، أو صور السيلفي ، أو لماذا يجب أن نقلق بشأن كيف سيحل الذكاء الاصطناعي محل عملنا ، أو كيف تُختزل الخوارزميات ذواتنا إلى مجرد بيانات أحيانًا، هناك رواية مُضادة مفادها أن التقنيات الجديدة قادرة على حل جميع المشاكل الصحية أو منع العواقب الوخيمة لتغير المناخ، باختصار، وكما هو الحال مع الأنثروبولوجيا السياسية، تُمثل الأنثروبولوجيا الرقمية ساحة تُستخدم فيها التطورات باستمرار لتقديم حجج معيارية وأخلاقية أوسع نطاقًا، بدلًا من مجرد رصد عواقب التغير التكنولوجي وتفسيرها.

بدأ علم الأنثروبولوجيا، كتخصص، بدراسة المجتمعات الصغيرة، التي تُعتبر تقليدية أو مألوفة، وغالبًا ما يُفترض خطأً أنها بطيئة التغير، إن تغيرت أصلًا على النقيض من ذلك، اعتبر معظم الناس ظهور التقنيات الرقمية نوعًا من تسارع العالم، طوفانًا لا يهدأ من الجديد. لذا، فإن الأنثروبولوجيا المُكلفة بفهم العالم الرقمي وفهمه ربما تُمثل أيضًا نفيًا نهائيًا لذلك الوهم الأولي بوجود مجتمعات خارج مسارات التغيير قد تمنحنا هذه الأنثروبولوجيا تخصصًا أكثر توازنًا وشمولًا، يُعنى بنفس القدر بكامل نطاق التجربة الإنسانية.

في الوقت نفسه، بدلًا من أن تكون مجرد أداة في النقاشات حول ما إذا كانت للتقنيات الرقمية عواقب إيجابية أم سلبية، فقد احتفظت الأنثروبولوجيا بمنهجيتها الشاملة لذا، فهي المجال الأنسب لوضع التقنيات الجديدة في سياق ثقافي واجتماعي أوسع بكثير، وبالتالي إدراك التناقضات والتعقيدات الكامنة التي تنجم عن الدراسة الأوسع لاستخداماتها وعواقبها ستوضح الإثنوغرافيا كيف تُنتج التقنيات الرقمية إمكانيات جديدة للنشاط السياسي، وكذلك للقمع الحكومي، مما يُهيئ الظروف لتسليع الموسيقى وغيرها

من الوسائط، وإلغاء تسليعها في آن واحد، يمكن استخدام مصطلح "الأنثروبولوجيا الرقمية" للإشارة إلى عواقب صعود التقنيات الرقمية على فئات سكانية معينة، واستخدام هذه التقنيات في المنهجية الأنثروبولوجية، أو دراسة تقنيات رقمية محددة، إلا أن هذا الموضوع قد يثير أيضًا تساؤلات أوسع حول طبيعة الأنثروبولوجيا المعاصرة نفسها، سواءً ما يعنيه أن تكون إنسانًا الآن، وكيف ينبغي للأنثروبولوجيا –كتخصص– أن تستوعب عوالم لم تكن مسبوقة أو ممكنة في الماضي، ستبدأ هذه المقالة بسؤال حول المقصود بـ "الرقمي" ثم تُقسّم عواقب هذه التقنيات إلى ثلاثة أجزاء يتكون الجزء الأول من دراسة التقنيات نفسها، من خلال الفئات المرتبطة بها تحديدًا، مثل المخترقين ثم ينتقل النقاش إلى تقييم أعم للتقنيات الرقمية المتزايدة الانتشار، مثل وسائل التواصل الاجتماعي، على السكان العاديين من خلال العمل الميداني الإثنوغرافي التقليدي يتناول القسم الثالث استخدامات التقنيات الرقمية في المنهجية الأنثروبولوجية سيتناول القسم الأخير الأسئلة الأوسع حول آثارها على طبيعة الأنثروبولوجيا والإنسانية.

اولاً: ما هو "الرقمي"؟

لا ينبغي أن تمر أي محاولة لتعريف "الرقمي" دون معارضة، التعريف الذي يُستعمل لأغراض هذه المقالة هو كل ما يمكن اختزاله في نتيجة الترميز الثنائي، هناك عدة بدائل، قد يركز بعضها أكثر على صعود الأنظمة السيبرانية، بينما يركز آخرون على عالم منفصل عبر الإنترنت يسمى "الافتراضي"، يكمن سبب اختيار تعريف يعتمد على الترميز الثنائي لهذا الإدخال جزئيًا في بساطته كما أن له فضيلة تسليط الضوء على بعض الآثار الرئيسية هذه أولاً أن التقنيات الرقمية جعلت من السهل إنشاء منتجات متطابقة تمامًا وبالتالي يمكن إعادة إنتاجها بسهولة، ثانيًا، أن الأشكال الرقمية أسهل بكثير في المشاركة. هاتان الخاصيتان بدورهما تفسران ما يبدو أنه انتشار سريع ومستمر للتقنيات الجديدة والمنتجات اللاحقة، بعضها أصبح في كل مكان وتوسع ليصل إلى معظم سكان العالم في وقت قصير جدًا لذلك، في كل عام تقريبًا، ينصب تركيز الاهتمام الشعبي والأكاديمي على شيء مختلف – الإنترنت ومحركات البحث والافتراضي ووسائل التواصل الاجتماعي والبيانات الضخمة والذكاء الاصطناعي و Tinder وإنترنت الأشياء وما إلى ذلك (Miller, 2023,p٥٤).

تطور أحد مناهج الأنثروبولوجيا الرقمية من دراسات الثقافة المادية، التي ركزت على كيفية صنع الأشياء للناس بقدر تركيزها على كيفية صنع الناس

للأشياء نحن نفهم من نحن في مرآة العالم المادي الذي ولدنا فيه ونشأنا فيه، لكن هذا العالم لم يكن ثابتًا أبدًا، إحدى الطرق التي أصبحت بها الثقافة نفسها أكثر تنوعًا واتساعًا كانت من خلال انفجار المنتجات المادية التي نربطها بثقافة المستهلك، وقد تم توسيع ذلك الآن من خلال المزيد من الديناميكية والتنوع الموجود في الأشكال الرقمية، لذلك من المهم أن نتذكر أنه على الرغم من أن العالم الرقمي قد يكون غالبًا عبر الإنترنت، إلا أنه ليس غير مادي هناك جانب مادي لعالم "البتات"، وأجهزة الكمبيوتر، والميمات، والمنصات، والتصوير الفوتوغرافي الرقمي، أو الأموال الرقمية ((Miller D. a., 2012,p٦٥.)) .

لذا، فالعالم الرقمي ليس تجريدًا، بل هو خلقٌ لمجموعةٍ واسعةٍ من الأشكال والعمليات الملموسة، علاوةً على ذلك، تُصادف هذه الأشكال والعمليات دائمًا في سياق استخدامها وعواقبها على فئةٍ معينة من السكان، مما يعني أنها تصبح عرضة للتمييز الثقافي تكشف دراسات وسائل التواصل الاجتماعي المشار إليها أدناه كيف أن الإنترنت الصيني، حيث تُركز خدمات المراسلة الفورية المجانية مثل QQ وWeChat على الصور الرمزية وتسلسلات المستخدمين الهرمية، اذ يختلف عن الإنترنت البرازيلي، بتركيزه على الميمات السياسية والعلاقات بين الجنسين، في إحدى المناطق، نجد إنترنتًا يناقش باستمرار أي الأشكال الرقمية تتوافق مع الإسلام ، وفي منطقة أخرى، سيكون الاهتمام منصبًا على كيفية توظيف الإنترنت في حشد الاحتجاجات النسوية، أو كيفية منعه من تحويل الأشخاص إلى بياناتٍ يمكن جمعها، سمح تطور البرمجة بأشكالٍ جديدةٍ من المشاركة ، ليس فقط للمنتجات، ولكن أيضًا من خلال ما يُسمى "المصدر المفتوح"؛ أي التطوير التعاوني للبرمجة نفسها (عفيفي، يوليو ٢٠١٨، ص ١.).

لقد أصبح هذا، في بعض المناطق، نموذجًا لمُثُل سياسية جديدة، في إيطاليا، أصبحت حركة النجوم الخمس الشعبوية ، التي تدعو إلى الديمقراطية المباشرة عبر الإنترنت، أكبر حزب سياسي في البلاد في انتخابات عام ٢٠١٨، وبدورها، تُفضي الأدوات الرقمية إلى أشكال جديدة من المراقبة والتحكم لم تكن مُتخيلة من قبل ومن منظور أنثروبولوجي، يبرز تنوع الإنترنت وتناقضاته (Miller D.، 2012,p ٦٥.).

لذا يتعين على الأنثروبولوجيا الرقمية أن تتعامل مع كيفية نمو الثقافة نفسها من حيث الحجم والشكل، بما في ذلك الأحلام والكوابيس الجديدة حول هويتنا، ومن أو ما ينبغي اعتباره حديثًا أو تقليديًا، بالنسبة

لعالم الأنثروبولوجيا، يُقارب العالم الرقمي دائمًا في سياقه، إذا بدا أن القياسات الحيوية في الهند تُتيح وصولًا أفضل إلى مزايا الرعاية الاجتماعية، أو في الصين إلى أشكال جديدة من التحكم بالمواطنين، فذلك يعود إلى الخيارات السياسية المتعلقة بكيفية استخدامها. ما تُمثله القياسات الحيوية ككل هو ببساطة القدرات المتزايدة لبنوك البيانات الضخمة المستمدة من الناس، والتي يُمكن استغلالها بطرق متعددة (عفيفي، يوليو ٢٠١٨، ص ١.).

ثانياً: بعض العوالم الجديدة

يُعد مصطلح "حديث" بدلًا من "جديد" مهمًا هنا، إذ لا يوجد فاصل واضح بين العوالم غير المسبوقة التي تطورت من خلال التقنيات الرقمية والتحول التدريجي لبقية أشكال الحياة التي تتأثر بهذه التقنيات نفسها في الواقع، كان أحد المسارات الرئيسية في تطور الأنثروبولوجيا الرقمية من خلال أنثروبولوجيا الإعلام التي تأسست سابقًا، وهذا مجال يمكننا جميعًا من خلاله بسهولة تتبع التحول التدريجي للإعلام إلى شكل رقمي إلى حد كبير، سيشاهد معظمنا الآن ما نسميه التلفزيون، ولكن قد نواجهه بشكل متزايد من خلال مجموعة متنوعة من الشاشات، بما في ذلك هواتفنا، يمكننا أن نرى كيف تواجه الصحف تحديات من أشكال أخرى لنشر الأخبار، مما يجلب الغموض والهشاشة لأولئك الذين يسمون أنفسهم صحفيين، كل هذا أدى إلى تحول مماثل في أنثروبولوجيا الإعلام، ورغم عدم وجود تقسيم مطلق أو واضح، فما زال من المفيد إجراء مقارنة بين العوالم "الجديدة"، التي لم يكن من الممكن أن توجد إلى حد كبير لولا تطور التكنولوجيات الرقمية، وبين دراسة استخدام التكنولوجيات الرقمية وعواقبها من قبل الناس العاديين.

لقد أدت التقنيات الرقمية إلى ظهور مجموعة واسعة من السكان الجدد، قد تبدو غريبة للوهلة الأولى، ومن أدوار عالم الأنثروبولوجيا التفاعل التعاطفي مع هذا السكان، لمساعدته على فهم ما يفعلونه وكيفية فهم العالم من منظورهم، ومن رواد هذا العمل الانثروبولوجي الامريكي (غابرييلا كولمان Gabriella Coleman) من خلال عملها طويل الأمد، بدايةً مع المتسللين، ثم مع مجموعات مثل "المجهولين" التي احتلت مواقع سياسية أو بديلة أتاحت لها هذه التقنيات الجديدة. يساعد عملها على تحويل فهمنا لهذه المجموعات من مجرد صورة كاريكاتورية إلى فهم نقاشاتها الداخلية حول كيفية تدخلها السياسي أو عدم تدخلها (Kuckelman, 2013,p٢٦.).

وعلى نحو مماثل، عملت الانثروبولوجية الكندية (جينا بوريل Gina Burrell) عام (٢٠١٢) مع غرب إفريقيا الذين تحولوا إلى محتالين، وقد استطاعت أن توازن بين التركيز على الضحايا الذين نهبوهم وظروف الإقصاء والفقر التي غالبًا ما ميزت وضع مرتكبي هذه الأفعال، ومساعدتنا على رؤية العالم من وجهة نظرهم.

يستغل هؤلاء المتسللون والمحتالون مجالاتٍ خلقتها التقنيات الرقمية الجديدة، والتي لولاها لما وُجدوا، والأكثر شيوعًا هو أن التطورات الرقمية تُوسّع آفاق الاتجاهات والإمكانات التي كانت قائمة بالفعل؛ على سبيل المثال، من خلال تغيير البنية التحتية لأسواق العمل في هذه الحالة، يُعتقد أن التقنيات الجديدة تُوسّع مسارًا طويلًا تُقمع فيه قدرة الإنسان على التصرف من خلال التطور المتزايد للآلات والمصالح القوية، وهو ما يُفهم عمومًا على أنه رأسمالية نيوليبرالية، دار نقاشٌ مبكر حول كيفية امتداد التقنيات الرقمية للعمالة العابرة للحدود الوطنية حول ما إذا كانت هناك ممارسة "زراعة الذهب" حيث كان العمال الصينيون يلعبون ألعاب الكمبيوتر بكثافة للفوز بكنوز تُباع بعد ذلك للاعبين أقل اجتهادًا في بلدان أخرى، وفي الآونة الأخيرة، شهدنا صعود ما يُسمى الآن باقتصاد "العمل الحر"، حيث طمست التقنيات الرقمية، مثل تطبيقات الهواتف الذكية، حدود ومسؤوليات الشركات تجاه العمال درست استاذة الانثروبولوجيا الرقمية الامريكية (إيلانا غيرشون Ilana Gershon) عام (٢٠١٧) آثار شبكة لينكدإن الإلكترونية، المُركزة على الوظائف، كموقعٍ يُجبر فيه الموظفون الآن على إظهار مظهرٍ وادعاءاتٍ مُحددةٍ للحصول على عمل، وتستخدم هذا المثال لتُظهر كيف يُمكن للمنصات الرقمية أن تُحوّل الفلسفات السياسية النيوليبرالية ليس فقط إلى أشكالٍ جديدةٍ من العمل، بل أيضًا إلى طرقٍ جديدةٍ لتصور أنفسنا وفهمها كأفرادٍ، بينما نُشكّل الطريقة التي نُقدّم بها أنفسنا للعالم ضمن إملاءات هذه المنصة (ميلر، ٢٠٢٠، ص ٢٢-٢٤).

نظراً لمنهجياتهم ووجهات نظرهم الأكثر شمولية، يميل علماء الأنثروبولوجيا أكثر من نظرائهم في مجال الإعلام أو الدراسات السياسية إلى تقديم التطورات الرقمية على أنها متناقضة. على سبيل المثال، بدلاً من الاكتفاء برفض صعود وسائل التواصل الاجتماعي مقابل الأشكال التقليدية للتقارير الإخبارية، يميلون أكثر إلى البحث في أمثلة محددة لاستخدام وسائل التواصل الاجتماعي لنشر المعلومات، كما تكشف الموسيقى عن ديناميكية متغيرة باستمرار، بما في ذلك نزع الطابع السلعي، وأنماط تعاون جديدة للموسيقيين، من الطرق الأخرى التي انخرط بها علماء الأنثروبولوجيا في هذه

العوالم الحديثة التركيز على منصات رقمية محددة واستخداماتها حول كيفية إنشاء الشباب لمواقع يوتيوب وهناك أيضًا العرض المرئي المؤثر الذي قدمه الانثروبولوجي (مايكل ويش Michael Wish) بعنوان "مقدمة أنثروبولوجية إلى يوتيوب (السامرائي، ٢٠١٣م، ص١٨) ".

ويقدم جيمي كوتس (٢٠١٧) منظورًا أنثروبولوجيًا لظاهرة انتشار الصور والأفكار على نطاق واسع، كما هو الحال في حالات الانتشار السريع للميمات. وقد تصبح وسائل الإعلام الأخرى نفسها أدوات للقبول السريع لافتراضات حول كيفية تعرضنا، على سبيل المثال، للأخبار الكاذبة أو العيش في غرف صدى سياسية حيث لا نسمع سوى آراء مماثلة لآرائنا. على النقيض من ذلك، يوفر العمل الإثنوغرافي فهمًا أكثر دقة لما يعتقده الناس بالفعل وأسبابه. ويرجع ذلك جزئيًا إلى أن التخصصات الأخرى تعتمد في الغالب على التحليل القائم فقط على البيانات المتاحة للجمهور مثل تويتر، بينما يتمكن علماء الإثنوغرافيا من الوصول إلى مناقشات أكثر خصوصية، وغالبًا ما تكون أكثر أهمية وخصوصية، على سبيل المثال، مثل واتساب (توفلر، ، ١٩٩٠، ص ١٧-٢٤).

تُمثل وسائل الاتصال ساحةً يُسلَّم فيها عمومًا بأن العالم الرقمي قد غيّر المشهد بالكامل تقريبًا. لكن علماء الأنثروبولوجيا أدركوا تحولاتٍ لا تقل أهميةً في العديد من المجالات الأخرى؛ على سبيل المثال، مجال المال التأثير هائل. يمكننا التركيز على الطريقة التي انفجرت بها الرأسمالية المالية في مجالاتٍ أكبر من حيث الحجم والتجريد في أعقاب التطورات التكنولوجية التي أحدثت "الانفجار الكبير" عام ١٩٨٦، والاستخدام المتزايد للتقنيات الرقمية الذي أدى إلى تقلباتٍ أكبر في أسواق رأس المال التي ساهمت في انهيار تلك الأسواق عام ٢٠٠٨. في أحد طرفي هذا الطيف، توجد التجريدات الجديدة للمال ممثلةً بآليات رقمية بحتة، وفي الطرف الآخر، هناك الطريقة التي أدت بها أنظمة النقود القائمة على الهاتف المحمول مثل إم-بيسا إلى منح حق التصويت للسكان في كينيا وأماكن أخرى الذين كانوا مستبعدين سابقًا من الخدمات المصرفية والتمويل الأصغر (علي، ، ٢٠٤، ٢، ص٣٤٩.).

نحن الآن تحولنا تدريجيًا إلى عوالم حديثة من الوسائط الرقمية والأموال الرقمية التي تُعدّ امتدادات هجينة لأشكال سابقة، ووفقًا لهذا المعيار، فإن معظم البنية التحتية لعالمنا المعاصر حديثة نوعًا ما، هل تُتيح رؤية المصدر المفتوح نماذج جديدة للتنمية الحضرية، حيث أنها، كما هو الحال مع ويكيبيديا، أثبتت

جدوى سياسات إبداعية أكثر ديمقراطية وانفتاحًا واسعاً اذ من الصعب تخيّل التصميم اليوم خارج نطاق الرقمنة، في حين أن إحساسنا بالمكان قد تحوّل بفضل تقنيات تحديد المواقع الجديدة مثل نظام تحديد المواقع العالمي (GPS) وجوجل إيرث والهواتف المحمولة. هل تُشكّل الأشكال الرقمية تحديًا وتوسيعًا للعلاقة التقليدية بين المتاحف والمعارض الفنية والأشياء ماذا عن تمكين أشكال جديدة من النقل مثل السيارات ذاتية القيادة، والقدرات الجديدة في التصميم الرقمي، أو التصنيع ثلاثي الأبعاد؟ وهذه ليست سوى بعض المجالات التي أثبتت فيها التقنيات الرقمية قدرتها على إحداث التحول الجديد (Hjorth, 2017,p٤٤.).

ثالثاً: الحياة الرقمية اليومية

تناول القسم السابق المجموعات التي توجد بالكامل نتيجة للتطورات الرقمية والتأثير الأوسع للرقمية على الأشكال والبنى التحتية التي نعيش فيها، وعلى النقيض من ذلك هناك مسؤولية واضحة أخرى للأنثروبولوجيا الرقمية لمراقبة وتفسير عواقب كل هذه التطورات على الحياة اليومية للأشخاص العاديين في جميع أنحاء العالم، وهذا يعيدنا إلى عنصر أساسي في الأنثروبولوجيا: الإثنوغرافيا الشاملة التقليدية ، إذ نحاول فهم كيفية ارتباط الناس بكل ما يؤثر على حياتهم، لا أحد يعيش عبر الإنترنت فقط، لذا لفهم مشاركتهم في التقنيات الرقمية، نستمر في التركيز على السياق الأوسع لحياتهم غير الرقمية، ونظرًا لأن هذه إثنوغرافيا عامة للسكان، فسيكون التركيز أيضًا على أشكال الثقافة الرقمية التي أصبحت أكثر انتشارًا، مثل وسائل التواصل الاجتماعي والهواتف الذكية (السامرائي، ٢٠١٣م، ص١٨).

رابعاً: كيف نمارس الأنثروبولوجيا رقميًا

مرّت دراسة الأنثروبولوجيا الرقمية بعدة مراحل ركّزت مراجعة سابقة على استكشاف المجتمعات الإلكترونية، بينما ركّزت مراجعة لاحقة بشكل أكبر على النهج الإثنوغرافي للوسائط الرقمية، وتناولت مجموعة مُحرّرة أحدث تنوع مجالات الدراسة، بدءًا من الموقع والسياسة وصولًا إلى الحياة الأسرية، بالإضافة إلى آثارها على النظرية والأنثروبولوجيا بشكل عام، ومع ذلك، يصعب فصل هذا التسلسل عن التطورات في المنهجية، والتي نشأت أيضًا استجابةً للإمكانيات الجديدة التي أتاحتها التقنيات الرقمية، (المرحبي، ٢٠١٩) على سبيل المثال غالبًا ما كانت الإثنوغرافيا تتكوّن من البحث ووصف مكان وزمان محددين، حيث كان الخروج من موقع العمل الميداني يعني نهاية علاقات عالم الأنثروبولوجيا مع مُخبريه،

أما مع وسائل التواصل الاجتماعي، فيتوقع علماء الأنثروبولوجيا من يعملون بينهم الحفاظ على تلك العلاقات على الرغم من بُعد المسافة وبعد إتمام الدراسة الإثنوغرافية، مما يُصعّب بالتالي تحديد معالمها، أصبحت العديد من مصادر المعلومات الجديدة متاحة الآن عبر الإنترنت، وقد يستبدل علماء الأنثروبولوجيا دفاترهم التقليدية بأدوات مثل التسجيل الصوتي ، والقص واللصق من المصادر الرقمية، أو الملفات المشتركة، مع هذه الآليات الجديدة لتسجيل المعلومات وتحليلها، يجب النظر في الإثنوغرافيا الرقمية جنبًا إلى جنب مع إثنوغرافيا العالم الرقمي، قد يكون من المفيد التفكير في هذه التغييرات كجزء من نقاشات منهجية أوسع نطاقًا (مراياتي، ٢٠٠٥، ص١٥٣-).

هذا التقييم النقدي للإثنوغرافيا الرقمية يكتسب أهمية متزايدة نظرًا لاعتماد التخصصات الأخرى بشكل متزايد على الإثنوغرافيا كوسيلة لربط دراسة التقنيات الرقمية الجديدة بتقييم عواقبها على السكان، على سبيل المثال قدمت دراسات العلوم والتكنولوجيا (STS) العديد من الدراسات الإثنوغرافية الثاقبة حول استخدام التقنيات الرقمية للرعاية تتميز هذه الدراسات بأنها لا تقتصر على المسعفين والمرضى فحسب، بل تشمل أيضًا أشكال العمل الجديدة ، مثل معالجي البيانات، الذين غالبًا ما يكونون أحد العواقب الخفية لهذه التقنيات، وبالتالي ترتبط هذه الدراسات ارتباطًا وثيقًا بدراسات الأنثروبولوجيا الطبية والأنثروبولوجيا الرقمية.

في مجال الأنثروبولوجيا الرقمية، يُركّز بشكل أكثر تحديدًا على الإثنوغرافيا الافتراضية، حيث يدرس علماء الأنثروبولوجيا العوالم واللقاءات عبر الإنترنت بالإضافة إلى المواقع الميدانية التقليدية، وكان المثال الأبرز على هذا النهج هو دراسة الانثروبولوجي توم بولستورف الإثنوغرافية للعبة الكمبيوتر الإلكترونية " الحياة الثانية"، وهي دراسة احتفظت بالعديد من خصائص الإثنوغرافيا التقليدية، لكنها طُبّقت على عالم إلكتروني بالكامل، يُظهر على سبيل المثال، كيف أن العديد من النزاعات حول ملكية العقارات وبين الجيران عبر الإنترنت تُحاكي تلك المألوفة في السياقات التقليدية غير الإلكترونية، يمكن العثور على العديد من الأمثلة في مجتمعات ألعاب إلكترونية كبيرة، قد قدّم العديد من علماء الأنثروبولوجيا المعنيين أمثلة مرجعية حول كيفية الانخراط في دراسات العالم الافتراضي هذه حيث درسوا، بعض القضايا الأخلاقية الصعبة المتعلقة بمراقبة سلوكيات الأشخاص الذين قد لا يعرفهم المرء أو لا يستطيع الحصول على موافقتهم لولا ذلك. سعى آخرون إلى استخدام التكنولوجيا الرقمية لإيجاد توازن بين

الواقع الافتراضي والمعزز بما يعكس حياة مُبلّغيهم (ميلفيل، ١٩٧٤، ص٢٦٤).

يمكن للتقنيات الرقمية أيضًا أن تُعزز مشاركة علماء الأنثروبولوجيا في نشر نتائج أعمالهم، أنشأ مشروع " لماذا ننشر" مجموعةً من الأشكال القصيرة سهلة المنال، مثل أفلام يوتيوب التي لا تتجاوز مدتها خمس دقائق، وأنشطة وسائل التواصل الاجتماعي، والتدوين، كما يمكن حتى للأبحاث الإثنوغرافية التقليدية أن تحظى بشعبية كبيرة، إذ وصل هذا المشروع تحديدًا إلى نصف مليون عملية تنزيل بحلول عام ٢٠١٨، هذه التطورات في الوصول المجاني تعني أنه يمكن بسهولة أكبر إرجاع الأبحاث الأنثروبولوجية إلى المجتمعات منخفضة الدخل التي غالبًا ما تكون موضوعًا لكثير من أبحاثنا، وينطبق هذا أيضًا على المجلات الأنثروبولوجية الشهيرة.

خامساً: تغيير الإنسانية

يُمثل القسمان الأولان تباينًا يتناول أحدهما عوالم جديدة نسبيًا نشأت من خلال العالم الرقمي، بينما يتناول الآخر العواقب الأكثر عمومية على الشعوب التي لا تتأثر حياتها بالتقنيات الرقمية بشكل خاص، ويعود هذا التمييز إلى حد ما إلى احتمالية اختلاف نتائجهما، على سبيل المثال من أبرز الاهتمامات الناشئة حاليًا في الأنثروبولوجيا الرقمية التأثير المحتمل لجمع كميات هائلة من البيانات، واستخدامها في بناء الخوارزميات، وبشكل أعم الاستثمارات الضخمة في الذكاء الاصطناعي، كما لا تقتصر على التنبؤ بالسلوك البشري فحسب، بل تُشكله وتُعدله أيضًا، هناك أيضًا شعورٌ بالتجريد من الإنسانية، حيث يرى الناس أنفسهم أكثر كصورٍ مرئية للبيانات، بدلًا عن مجرد أشخاص، علاوةً على ذلك تُعزز هذه التقنيات الاختلافات القائمة بين الجنسين وغيرها من المعايير الاجتماعية غير المتكافئة، وكما في الأمثلة السابقة للعوالم المُنشأة رقميًا، ينصبّ التركيز الرئيسي على المجموعات التي بُنيت حول هذه الإمكانيات الجديدة، مثل الأشخاص الذين يتماهون مع حركة "الذات الكمية" وينخرطون في أشكال مختلفة من التتبع الذاتي، ويتمثل أحد التوجهات البديلة في الرفض النشط لهذه التقنيات، والذي قد يُنظر إليه الآن على أنه شكل من أشكال المقاومة (حمزة، ٢٠٢٠، ص٥٤).

على النقيض من ذلك، تُعنى الدراسات التي نُوقشت تحت عنوان "الحياة الرقمية اليومية" بفئات سكانية لا تتبنى التقنيات الرقمية، أو ترفضها بشكل خاص. بل تتقبلها بسرعة باعتبارها جزءًا لا يتجزأ من حياتهم اليومية، يتفاعل معظم الناس مع أحدث التقنيات الرقمية كتطبيقات للهواتف الذكية بالنسبة لهم، يُنظر إلى الذكاء الاصطناعي والخوارزميات–على

سبيل المثال– على أنها خدمات ترجمة فورية أكثر فعالية للغات الأجنبية، أو نظام ملاحة GPS أكثر فعالية، أو إملاء صوتي أكثر دقة، وبعيدًا عن كونها مُجردة من الإنسانية، يرون هواتفهم متوافقة بشكل متزايد مع شخصياتهم الخاصة، ويميلون إلى الشعور بالحرمان إذا ما تركوا رفيقهم الرقمي في المنزل عن طريق الخطأ . إنهم أكثر قلقًا بشأن مراقبة عائلاتهم من مراقبة الشركات، وفيما يتعلق بالقضايا الصحية، فمن المرجح أن يرحبوا بمدى معرفة ما بداخل أجسادهم، والذي كان مجهولًا لهم إلى حد كبير سابقًا إلا عند ظهور المرض كبيانات قد ينتبهون إلى التطبيقات التي تحسب خطواتهم، أو تتنبأ بدوراتهم الشهرية، ويستخدمونها لتطوير أنماط حياة أكثر صحة أو تخطيطًا (منصوري، ٢٠١٩، ص١٤٧–١٤٨.).

إذن، أين يترك كل هذا الأنثروبولوجيا الرقمية؟ ينبغي أن تسعى الأنثروبولوجيا الرقمية الشاملة الحديثة إلى الجمع بين أفضل ما في هذين النهجين؛ يمكن توظيف الإثنوغرافيا في الدراسة المباشرة للشركات والدول، وتنبيهنا إلى جمع البيانات واستخدامها لاحقًا؛ تضمن دراسات السكان العاديين قدرتنا على تقييم عواقب الذكاء الاصطناعي والخوارزميات من خلال دراسات ما يفعله الناس فعليًا بشكل منتظم باستخدام التطبيقات التي تستخدمها. تساعدنا الدراسات التي تركز على الممارسين الرقميين على تقدير البنية التحتية الأوسع للدول والشركات واحتمالية حدوث عواقب أكثر ضررًا لذا فإن الاستنتاج الأول هو أننا بحاجة إلى كلا النوعين من البحث وكلا جانبي هذه الحجج: الاهتمام بالقوى الهائلة التي قد تكون قمعية، والالتزام المتساوي بالتفاعل الوثيق والتعاطفي مع الناس العاديين الذي يحترم آراءهم وتجاربهم باعتبارها أصيلة، الاستنتاج الثاني هو أن الالتزام الأنثروبولوجي يقوم على البحث طويل الأمد، والذي قد يشمل دراسة النقاشات الأخلاقية حول هذه القضايا، ولكن كوسيلة لفهمها وتفسيرها، بدلاً من مجرد تأكيد الموقف الأيديولوجي لعلماء الأنثروبولوجيا، ثالثا، ينبغي لعلم الأنثروبولوجيا أن يكون التخصص الذي يشمل التناقض ويعترف بأنه في كل حالة تقريبا، تثير التكنولوجيات الرقمية الجديدة إمكانيات جديدة للعواقب الحميدة والخبيثة، والتي عادة ما تكون وجهين لعملة واحدة (وينكين، ، ٢٠١٨، ص٥٥–٥٧.).

حتى قبل ظهور التقنيات الرقمية، أثار علماء الأنثروبولوجيا أسئلة حول معنى أن تكون إنسانًا الآن، وكما ذكرنا سابقًا كان أحد المخاوف الرئيسة هو التأثير اللاإنساني المحتمل للتقنيات الرقمية الجديدة مثل الذكاء الاصطناعي، إن التشبيه البشري الذي يمثله روبوت الخيال العلمي قد بدأ أخيرًا في الظهور في

اليابان، إذ توجد نسبة عالية جدًا من كبار السن، كان هناك اهتمام رئيسي بتطوير الروبوتات التي يمكنها بعد ذلك "رعاية" كبار السن، والتي من المحتمل أن تحل محل مقدمي الرعاية الفلبينيين، وبالمثل تمت الإشارة إلى الهاتف الذكي في وقت سابق على أنه رفيق رقمي: يبدو الهاتف أقل شبهاً بالإنسان بكثير من الروبوت، ولكنه قد يُظهر بالفعل مجالًا أكبر لتشبيه بشري أكثر دقة. من جهة تُطوّر الشركات الذكاء الاصطناعي والخوارزميات وروبوتات الدردشة، وتُطلق على المساعدين الرقميين ، مما يُشير إلى أن هذا التجسيم نابع من الابتكار الرقمي، في الوقت نفسه قد يتجاهل مالك الهاتف الذكي التطبيقات المُدمجة، ويُحمّل تطبيقات أخرى، ثم يُعيد تكوينها بحيث يُصبح هاتفه مُجسّدًا لشخصيته، مُعبّرًا عن شخصيته الخاصة: كمسؤول مُنظّم للغاية، أو فنان مُبدع ، أو رجل قوي البنية، يُمكنه الادعاء بأن كل استخدامه للهاتف قائم على الضرورة.

يشير كل ما سبق إلى أن المشكلة الحقيقية هنا ربما تكمن في مصطلح "الإنسانية" بحد ذاته. هل يمكن أن يكون هذا محافظًا للغاية، لأنه يشير تقليديًا إلى كل ما كانت عليه البشرية حتى الآن، ولكن ليس إلى كل ما قد تصبح عليه مع مرور الوقت، ربما تم تعريف البشرية في السابق على أنها كائنات لم تستطع الطيران، ولكن بعد ذلك جاءت الطائرة. بدلاً عن استخدام مصطلحات مثل ما بعد الإنسان أو ما بعد الإنسان ، قد نرغب في تعريف الإنسانية على أنها تشمل الكمون الذي تحققه كل تقنية جديدة. النقطة الختامية هي أن الأنثروبولوجيا الرقمية، والتي يمكن أن تشمل دراسة كل من الاستخدام والنتيجة، هي بالتالي دراسة لما يصبح عليه الناس بقدر ما هي دراسة لما تصبح عليه التقنيات. نواجه الآن تناقضًا شديدًا بين اهتمام الأنثروبولوجيا الأولي بالعادات والتقاليد، مقارنةً بسرعة التطورات المعاصرة. في الوقت نفسه، قد تكون هذه تعبيرًا عن المخاوف الأنثروبولوجية المستمرة، مثل طبيعة المعيارية. علاوة على ذلك، تُعزز سرعة التغيير أهمية الدراسات الإثنوغرافية طويلة الأمد المُعدّة لاستيعاب التعقيدات والتناقضات الجوهرية في تقييم عوالمنا الرقمية الجديدة. لذا، يبدو من المنطقي أيضًا استخدام الأنثروبولوجيا الرقمية للانخراط في نقاشات حول ما تؤول إليه البشرية وما تؤول إليه الأنثروبولوجيا.

سادساً: الفضاءات الرقمية

يدرس علماء الأنثروبولوجيا الرقمية الفضاءات الرقمية باعتبارها موضوعات أنثروبولوجية يمكن من خلالها تحليل وتفسير الظواهر الاجتماعية–الثقافية التي تحدث وتتفاعل داخل الفضاءات الرقمية. وأظهرت دراساتهم أن المجموعات البشرية أثناء احتكاكها

بالتكنولوجيات الرقمية تتبنى مجموعة من المعايير والممارسات والعادات، ويتداول أفرادها مجموعة من القصص والخطابات، ويطورون مجموعة من المفردات واللهجات الخاصة، كما تكون تلك الفضاءات مجالا لظهور الصراعات والهجرات منها وإليها بنفس الطريقة التي تحدث في المجتمعات الإنسانية التقليدية المحدودة جغرافيا وبشريا (ليفي، ، ٢٠١٨، ص٤٤.).

لنضرب مثالا بأحد الموضوعات التي يدرسها علماء الأنثروبولوجيا الرقمية، وهو تأثير التكنولوجيا الجديدة على إحساسنا بـ "نزع الإنسانية"؛ بمعنى آخر: كيف يرى الناس أنفسهم على أنهم تصورات للبيانات أكثر من كونهم مجرد أشخاص. ففي الوقت الذي يذهب فيه المتشككون والمتخوفون من الرقمية إلى أن التكنولوجيات الرقمية تدمر إنسانيتنا وتشوهها بسبب الطبيعة غير الأصيلة وغير الأصلية لمنتجاتها، فقد ذهب ميلر وهورست إلى أن التكنولوجيات الرقمية لا تعمل فقط على توسيع معارفنا، بل تعمل كذلك على توسيع إنسانيتنا، ومن ثم فهي امتداد لها، بل وجادلا بأن الأنثروبولوجيا الرقمية تؤثر على فهم الأنثروبولوجيا لنفسها وما يعنيه أن يكون المرء إنسانًا (زرن، ، ٢٠١٩، ص١٢)

حين يتعلق الأمر بتأثيرات الرقمنة على حياتنا نجد أن هناك تيارين متناقضين يتصدران المشهد. يذهب أصحاب التيار الأكثر تشاؤما إلى أن التقنيات الرقمية أفقدتنا إنسانيتنا، بسبب تعلقنا المرضي بهواتفنا وإدماننا على وسائل التواصل الاجتماعي، ويدعون إلى أن نكون أكثر قلقا من سيطرة الذكاء الاصطناعي على حياتنا، وأكثر حذرا من التطبيقات التي تجمع عنا كل صغيرة وكبيرة بحيث تحول ذواتنا إلى مجرد بيانات مخزنة في السحابة. من جهة ثانية يذهب أصحاب التيار الأكثر تفاؤلا إلى أن التقنيات الرقمية قد تحل جميع المشكلات الصحية وتساهم في توفير حياة أكثر سهولة أو تمنع العواقب الكارثية لتغير المناخ. وبدلا من التركيز على تقديم حجج معيارية وأخلاقية والدخول في مناقشات العواقب الجيدة أو السيئة للتقنيات الرقمية تقتصر مهمة الأنثروبولوجيا الرقمية على مراقبة عواقب التغيير التكنولوجي وتفسيرها من خلال وضعها في سياق ثقافي واجتماعي أوسع بكثير، ومن ثم تسليط الضوء على التناقضات والتعقيدات التي تنشأ عنها.

سابعاً: الرقمية كمنهج أنثروبولوجي

لما كان من المسلم به أن التقنيات الرقمية تؤثر في الحياة اليومية للناس في جميع أنحاء العالم فإن الأنثروبولوجيا بحاجة إلى مراقبة هذا التأثير وتفسيره،

وهو أمر لا يمكن تحقيقه إلا من من خلال الإثنوغرافيا الشاملة، لذا يلجأ علماء الأنثروبولوجيا الرقمية إلى استخدام التقنيات الرقمية كأدوات في البحث الأنثروبولوجي، حيث يتم تطبيق العديد من خصائص الإثنوغرافيا التقليدية على عالم متصل كليا بالإنترنت، من خلال التطبيق الميداني لمناهج الملاحظة المباشرة والملاحظة بالمشاركة والمقابلات والمقارنة والمقاربة الانعكاسية، وكذلك من خلال التواصل مع الناس من أجل مساعدتهم على فهم ما يفعلونه وفهم نظرتهم للعالم وكيفية فهم العالم من منظورهم خصوصا في المجموعات التي يكون فيها تأثير التقنيات الرقمية كبيرا وواضحا، بحيث يتم تبني ممارسات جديدة كليا مثل مجموعات الصحفيين الذين يعملون عن بعد أو مجموعات التدوين المرئي على اليوتيوب أو مجموعات الفيسبوك أو الواتساب (Miller D.، 2012,p. ٦٥).

توجد العديد من مصادر المعلومات الجديدة عبر الإنترنت. وقد يستعيض علماء الأنثروبولوجيا عن دفاترهم المحمولة التقليدية بأجهزة مثل الهاتف والمسجل الصوتي بالاقتباس من المصادر الرقمية أو الملفات المشتركة، بيد أن هناك بعض الاختلافات المنهجية التي يجب الانتباه إليها، فعلى سبيل المثال غالبًا ما تتألف الإثنوغرافيا من البحث ووصف المكان والزمان المحدودين، بحيث إنه بمجرد مغادرة الأنثروبولوجي لميدان البحث تنقطع علاقته مع المجتمع المبحوث، لكن مع وجود وسائل التواصل الاجتماعي، أصبحت هذه العلاقة غير قابلة للانقطاع، بمعنى أنها قد تستمر لمدة طويلة جدا يصعب تحديدها.

كما أن هناك جانبا آخر تجدر الإشارة إليه، وهو أنه يمكن للتقنيات الرقمية أن تعزز مشاركة علماء الأنثروبولوجيا في نشر نتائج أبحاثهم على مستوى أوسع بكثير، سواء من حيث طبيعة المحتوى نفسه أو مداه الجغرافي. فعلى سبيل المثال أنتج مشروع "لماذا ننشر" Why We Post الذي أشرف عليه ميلر مجموعة من المحتويات القصيرة التي يسهل الوصول إليها، مثل أفلام YouTube التي تقل مدتها عن خمس دقائق، ومنشورات في وسائل التواصل الاجتماعي، ومدونات وملفات للتحميل، ومساقات جامعية مجانية عبر الإنترنت. ومن خلال إتاحة العمل الأنثروبولوجي مجانًا على الإنترنت بلغات محلية عديدة قد تصبح الدراسات الأنثروبولوجية التقليدية شائعة جدًا، حيث بلغ عدد تحميلات هذا المشروع نصف مليون تحميل بحلول عام ٢٠١٨.

الخاتمة

لاتزال التغيرات الاجتماعية السريعة الناتجة عن التطورات التكنولوجية تشكل موضوعا خصبا لدراسات

الأنثروبولوجيا الرقمية التي يتم إجراؤها لاحتواء التعقيد والتناقضات المتأصلة في تقييم عوالمنا الرقمية الجديدة، ومن ثم، يمكن الاعتماد على تلك الدراسات لفهم إنسانيتنا الجديدة التي تتصالح مع التطورات التقنية عبر فهمها في سياق اجتماعي وثقافي أكثر شمولا.

المراجع

B. Kuckelman. (2013,p26.). *The Anthropology of Equation. Sieves, Spam Filters, Efficient Algorithms, and Ontologies of Transformation. Harvard.* Journal of Ethnographic Theory.

D. and H. Horst Miller. (2012,p65.). *A Digital Anthropological Perspective. In Digital Anthropology.* london: Digital and the Human.

Dr. Marco Gercke. (,2012.P12,13). , *Understanding Cybercrime : Phenomena ,Challenges and L.* egal Response ,ITU. .

Miller, D. (2023,p,54). . *2023. "Digital Anthropology." In The Open Encyclopedia of Anthropology, ed. Felix Stein.* . newyork: Facsimile of the first edition in The Cambridge Encyclopedia of Anthropology,.

S. and G. Hjorth. (2017,p44.). *The Routledge Companion to Digital Ethnography (eds.): L. Hjorth, H. Horst, A. Galloway, and G. Bell,p, 70–87.* Mash-up: : Mash-up: Digital Ethnography and Online Research Methods.

الفين توفلر،. (١٩٩٠، ص ١٧–٢٤). حضارة الموجة الثالثة. ليبيا: الدار الجماهيرية للتوزيع والنشر والاعلان، .

ايف وينكين،. (٢٠١٨، ص٥٥–٥٧.). انثروبولوجيا التواصل من النظرية الى ميدان البحث . المنامة: هيئة البحرين للثقافة والاثار، الطبعة الاولى.

بيير ليفي،. (٢٠١٨، ص٤٤.). عالمنا الافتراضي، ماهو؟ وما علاقته بالواقع. المنامة: هيئة البحرين للثقافة والآثا.

جمال زرن،. (٢٠١٩، ص١٢). أنثروبولوجيا الفضاء الافتراضي والذكاء الجمعي عند بيير ليفي،. لندن: مجلة الحكمة.

حذيفة عبود مهدي السامرائي. (٢٠١٣م، ص١٨). وسائل الإتصال الحديثة وتأثيرها على الأسرة. العراق: جامعة سامراء، كلية الإمام الأعظم.

د نديم منصوري. (٢٠١٩، ص١٤٧–١٤٨.). موضوعات في علم اجتماع الانترنت والتواصل الرقمي، . بيروت: منتدى المعارف.

سمير الشيخ علي، . (٢٠٤، ٢، ص٣٤٩.). مجتمع المعلومات والفجوة الرقمية في الدول العربية. سوريا: مجلة جامعة دمشق.

صالح بن علي بن عبد الرحمن. (٢٠١٩ ، ص ٦). الأمن الرقمي وحماية المستخدم من مخاطر الانترنيت، رؤية ٢٠٣٠ ، . الرياض: هيئة الاتصالات وتقنية المعلومات.

طالب سلطان حمزة. (٢٠٢٠، ص٥٤). الاقتصاد الرقمي في الدولة العراقية بين النجاحات والاخفاقات والتحديات . ليبيا: مجلة كلية الاقتصاد للبحوث العلمية.

عبد الغفار عفيفي. (يوليو ٢٠١٨، ص ١.). استراتيجية الردع السيبراني.. التجربة الامريكية. القاهرة: مجلة السياسة الدولية.

عدنان مصطفى المرحبي. (٢٠١٩). ، الاقتصاد الرقمي، . بغداد: موقع اليكتروني.

محمد مراياتي. (٢٠٠٥، ص١٥٣–). المحتوى الرقمي العربي. الكويت: مجلة العربي.

هرسكوفيتز ميلفيل. (١٩٧٤، ص٢٦٤). اسس الأنثروبولوجيا الثقافية. دمشق: وزارة الثقافة.

هيذر.أ. هورست و دانييل ميلر، . (٢٠٢٠، ص ٢٢–٢٤). الانثروبولوجيا الرقمية. المنامة: هيئة البحرين للثقافة والاثا.